

التوجهات العامة الجديدة لسياسة الخارجية الروسية في عهد الرئيس بوتين تجاه منطقة شرق المتوسط

The new general orientations of Russian foreign policy under President Putin towards the Eastern Mediterranean region

الوليد أبوحنيفة

جامعة الجزائر 3، (الجزائر)، ammahope@hotmail.com

تاريخ النشر: 2020/04/18

تاريخ قبول النشر: 2020/01/23

تاريخ الإستلام: 2019/09/09

ملخص:

تحتل منطقة شرق المتوسط بأهمية إستراتيجية كبرى كونها تزخر بالعديد من الثروات الباطنية النفطية والغازية ما يؤهلها لأن تصبح لعبا مهما في خريطة الطاقة العالمية سواء من ناحية الإنتاج والتصدير أو من ناحية التحكم في أنابيب النقل من دول آسيا الوسطى والشرق الأوسط نحو أوروبا، ما جعل العديد من القوى الدولية تسعى لإيجاد موطئ قدم لها في المنطقة، حيث نجد من بين هذه القوى روسيا الاتحادية التي تسعى لاسترجاع قوتها والاضطلاع بدور عالمي جديد بقيادة الرئيس فلاديمير بوتين، الذي عمل على تبنى إستراتيجية تتماشى ومصالح روسيا فقط، إذ شهدت السياسة الخارجية الروسية تحولا كبيرا في مضامينها بتشكيل رؤية مختلفة ونحجا مغايرا لسابقتها في عهد بوريس يلتسن، فبرزت منطقة شرق المتوسط في الفكر الإستراتيجي الروسي كساحة لإعادة تغيير موازين القوى، إذ عمدت موسكو على توزيع قدراتها بما يتماشى مع مصالحها من خلال عاملين رئيسيين تمثلا في كل من الطاقة والأمن، وذلك من خلال البحث عن السيطرة على شبكة أنابيب نقل النفط والغاز، فمنطقة البحر المتوسط تشكل بوابة الانفتاح الأساسية لروسيا خارج المجال الأوراسي، وتتيح لها الولوج للبحار والمحيطات كالمحيط الأطلسي، وبذلك تمثل خطوطها الإستراتيجية نحو المناطق البرية والبحرية التي تشكل عقد جيوسياسية بالنسبة لها.

الكلمات المفتاحية: السياسة الخارجية، روسيا، بوتين، منطقة شرق المتوسط، الأمن، الطاقة.

Abstract:

The Eastern Mediterranean region is of great strategic importance because it is rich in many oil and gas reserves, enabling it to become an important player in the global energy map both in terms of production and export and in terms of control of transport pipelines from Central Asia and the Middle East to Europe. The international powers are seeking to find a foothold in the region. Among these forces is the Russian Federation, which seeks to regain its power and assume a new global role under the leadership of President Vladimir Putin, which has adopted a strategy that is in line with Russia's interests only. It is not significant in its content to form a different vision and a different approach to its predecessor under Boris Yeltsin. The Eastern Mediterranean region has emerged in Russia's strategic thinking as an arena for a change in the balance of power. Moscow has deployed its capabilities in line with its interests through two main factors, both energy and security, through the search for control over the oil and gas pipeline network, The Mediterranean is the main opening gate for Russia outside the Eurasian region, allowing it access to the sea and the oceans, such as the Atlantic Ocean, thus representing its strategic move towards the land and sea areas that constitute a geopolitical contract.

Keywords: Foreign Policy, Russia, Putin, Eastern Mediterranean, Security, Energy.

مقدمة:

لقد عرفت السياسة الخارجية الروسية تحولاً كبيراً في توجهاتها وسلوكياتها منذ قدوم الرئيس فلاديمير بوتين، الذي عمل على صياغة مبادئ تتلاءم وطموحاته السياسية في رسم إستراتيجية جديدة تعيد دور روسيا كفاعل دولي مؤثراً في صياغة التوازنات الدولية وتوجيه أحداثها بما يخدم مصالحها وأجنداتها، ويحقق أمنها وسيادتها على مناطق نفوذها التقليدية ، وذلك من خلال العمل على استغلال مقومات القوة العسكرية والتكنولوجية والاقتصادية التي تمتلكها روسيا في رسم نهج جديد لسياستها الخارجية. حيث عملت السياسة الخارجية الروسية على البحث عن إيجاد موطئ قدم لها خارج الدوائر التاريخية القابعة تحت هيمنتها كمنطقة القوقاز وآسيا الوسطى والبحر الأسود، وذلك بالتوجه إلى حوض المتوسط وتحديدًا جهته الشرقية التي تزداد أهميتها خاصة بعد الاكتشافات الغازية الجديدة الضخمة في دولها كمصر وإسرائيل ولبنان، فعملت روسيا على الدخول لها من البوابة السورية إدراكاً منها لأهمية المنطقة في حساباتها الإستراتيجية، وباعتبارها قوة تعديلية تسعى لإحداث توازن في ميزان القوى الدولي ومنافسة الولايات المتحدة الأمريكية، وبناءً على ما سبق نطرح الإشكالية التالية: " كيف يمكن لروسيا كقوة تعديلية منافسة القوى الدولية التقليدية في منطقة شرق المتوسط ضماناً لمصالحها الإستراتيجية؟"

ويندرج على هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية، وهي:

- ماهي التوجهات العامة الجديدة لسياسة الخارجية الروسية في عهد الرئيس بوتين؟ وماهي أولوياتها الإستراتيجية؟
- كيف أثرت شخصية الرئيس بوتين على نمط السلوك الخارجي السوري.
- ماهي مقومات الإدراك الروسي لمكانة شرق المتوسط
- ماهي المتغيرات المؤثرة في رسم الإستراتيجية الروسية تجاه منطقة شرق المتوسط؟
ولفهم وتفسير الظاهرة محل الدراسة تم تبني الفرضية التالية:
- تشكل منطقة شرق المتوسط أهمية جيوبوليتيكية في المدرك الإستراتيجي لرئيس الروسي فلاديمير بوتين في البحث عن مناطق نفوذ جديدة.

أهداف الدراسة:

نحاول من خلال هذه الدراسة تقديم قراءة حول أهمية منطقة شرق المتوسط في الفكر السياسي الروسي، من خلال البحث في عوامل اهتمام موسكو بالمنطقة وآليات تفاعلها مع دوله، والأساليب التي اعتمدها روسيا للوصول إلى تحقيق أهدافها فيها.

توضيح المشروع الروسي الجديد بزعامة فلاديمير بوتين الذي عمل مند تسلمه السلطة في عام 2000 على صياغة مبادئه الجديدة في إطار ما يعرف بالبوئينية والهادفة إلى رد الاعتبار لمكانة وهيبة روسيا الدولية؛ وذلك عبر إبراز التوجهات التي يقوم عليها ودور السمات الشخصية لرئيس بوتين في توجيه السلوك الخارجي الروسي. ولمعالجة هذا الدراسة تم تقسيمها إلى ثلاثة محاور:

- محور أول: التوجهات العامة للسياسة الخارجية الروسية في عهد الرئيس بوتين.
- محور ثاني: مكانة منطقة شرق المتوسط في الفكر الإستراتيجي الروسي.
- محور ثالث: الملامح العامة لدور الروسي في منطقة شرق المتوسط وأهدافه.

1 - التوجهات العامة للسياسة الخارجية الروسية في عهد الرئيس بوتين:

من الناحية القانونية والسياسية، ورثت روسيا مكانة الاتحاد السوفيتي من غير أن تمتلك أسباب القوة السوفيتية كاملة رغم أنها تمسك ببعض هذه القوة وخاصة على الصعيد الإستراتيجي العسكري. ورغم أنها عانت ما عانت في المدة التي تلت عام 1991، لكنها لم تتنازل عن النهج الإستراتيجية للدولة الروسية ذات الدور المهم في السياسة الدولية، أيا كان الحاكم أو المسئول الأول، لإدراكها أن أي تنازل أو انكفاء معناه تهديد لكيان الدولة الروسية، وتعرضها لمشاكل لا حصر لها. وعلى الرغم من أن الدور الروسي كان مرتبكاً وضبابياً بفعل إعادة بناء الاتحاد الروسي ومواجهة المشكلات المعقدة الموروثة عن الاتحاد السوفيتي السابق، إلا أن تسلم بوتين لدفة الحكم، كان إيذاناً بإعادة بناء للفعالية الروسية على المستويين الداخلي والدولي¹

1.1 - المبادئ الجديدة لسياسة الخارجية الروسية في عهد بوتين

عند تسلم الرئيس "فلاديمير بوتين" السلطة في روسيا الاتحادية مطلع العام 2000، كان هدفه جعل بلاده شريكا مهما في التوازنات الدولية، برغم أنه كان يدرك بوضوح أن العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة قد أصبحت

¹ حميد حمد السعدون، "الدور الدولي الجديد لروسيا"، مجلة دراسات دولية، العدد 42 (2009)، ص 1-12.

بمجملة عملية تنافسية، وأن على روسيا الاتحادية أن تعبر عن نفسها كقوة عظمى²، حيث حاول تكريس قدر ملحوظ من اهتمامه لصياغة اتجاه جديد وقوي للسياسة الخارجية الروسية يحاول استعادة المكانة التي كان يتبوأها الاتحاد السوفييتي السابق في مرحلة الحرب الباردة، ولهذا فقد اعتمدت روسيا الاتحادية في سياستها الخارجية على عدة دوائر تعتمد على مراحل نموها ومدى استقرارها السياسي والاقتصادي وفي كل هذه الدوائر كان الهدف الأسمى هو تحقيق الإستراتيجية الأمنية على المدى البعيد³، فعناوين مبدأ بوتين أكدت أن مجمل التوجهات المستقبلية للسياسة الروسية خلال فترة الحكم القادمة ستشكل امتداداً طبيعياً لما أراد "بريماكوف" إرساءه، وفي مقدمة تلك المبادئ:

- 1- الحفاظ على روسيا الاتحادية كقوة نووية عظمى
- 2- تطوير دور روسيا الاتحادية في عالم متعدد الأقطاب لا يخضع لهيمنة قوة عظمى واحدة
- 3- التركيز أولاً على برامج الإصلاح الداخلي على حساب السياسة الخارجية، وعلى أن الأهداف الداخلية لروسيا الاتحادية تلغي أهداف السياسة الخارجية الروسية
- 4- العمل على استعادة دور روسيا في آسيا والشرق الأوسط بشكل تدريجي
- 5- عدم السماح للغرب بتهميش الدور الروسي في العلاقات الدولية
- 6- التخلص تدريجياً من نتائج الحرب الباردة التي تم التعامل فيها مع روسيا على اعتبارها الطرف المغلوب
- 7- إذا استمر توسع حلف الناتو شرقاً تجاه حدود روسيا، فإنه سيعاد دعم الترابط بين دول الاتحاد السوفييتي السابق لحماية منطقة خط الدفاع الأول
- 8- إن روسيا تعارض تعارض نظام القطبية الأحادية، ولكنها ستعمل مع الولايات المتحدة الأمريكية في قضايا عديدة مثل الحد من التسلح وحقوق الإنسان وغيرها

² وليد محمود أحمد، "توجهات السياسة الخارجية الروسية بعد الحرب الباردة"، مجلة دراسات إقليمية، العدد 33 (2014)، ص 285-309.

³ حسني عماد حسني العوضي، السياسة الخارجية الروسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 2017)، ص 1.

9- ستعمل روسيا الاتحادية على دعم بيئتها الأمنية في الشرق الأوسط عن طريق تقوية علاقاتها مع الصين والهند واليابان.⁴

لقد عامل بوتين على استعادة المكانة الروسية التي كان يتبوأها الاتحاد السوفييتي السابق في مرحلة الحرب الباردة، وذلك بإحداث بعض التغييرات الجوهرية في مبادئ السياسة الخارجية الروسية والتي تتلائم مع الوضع الجديد، ليتمكن من تحقيق طموحاتها في عصر العولمة وحرية الأسواق، فكان من أهم الخطوات التي اتخذها بوتين لتقوية سياسة بلاده الخارجية في مواجهة القوى العالمية الكبرى الأخرى دخول روسيا في العديد من النشاطات مثل مجموعة الدول الصناعية الثماني الكبرى، ومنتدى آسيا الباسيفيك للتعاون الاقتصادي، ورابطة الأمم لجنوب شرق آسيا، ومؤتمرات القمة الروسية مع الاتحاد الأوروبي، فضلا عن محاولته الدخول إلى أوروبا عبر بوابة ألمانيا.⁵

إن أهم مكون من مكونات الإيديولوجية الجديدة هو القومية التي يصحبها نزعة عداة للغرب -Anti Westernism، فأصول هذا العداة للغرب غير واضحة على الإطلاق، إذ لم يكن العداة لأمريكا موجودا قبل الحرب الباردة بتلك الدرجة المهمة. ولكن من منظور عملي أكثر واقعية ينبغي أن يكون له علاقة بضرورة أن تقوم منظمة FSP خليفة KGB، بتبرير وجودها وميزانيتها وسياستها. لأنه ما لم يصر إلى حماية روسيا من أعدائها الخطرين والأقوياء والمكرين، فسوف تتعرض البلاد إلى الدمار مرة أخرى، من هنا كانت الحاجة للإبقاء على هذا الجهاز الأمني الضخم والمكلف تحت رئاسة طبقة النبلاء الجدد التي تحكم البلاد.⁶

1.2 - أهداف السياسة الخارجية الروسية في عهد بوتين

استكملت روسيا مع بوتين ما كان ينقصها في فترة العقد الضائع، فإلى جانب الهوية عادت روسيا لترى نفسها خليفة الاتحاد السوفييتي لأركامه، ورسمت حدودها الجيوسياسية وأهدافها في إطار عقيدة سياسة خارجية وأمنية وعسكرية معينة، وحددت الوسائل اللازمة لبلوغها، فلموسكو مصالحها التي يجب أن يعترف بها الغرب، وهي ليست تابعا للولايات المتحدة الأمريكية ولا الناتو. ولتحقيق ذلك سعت إدارة بوتين الأولى إلى تأسيس القدرات الإستراتيجية القومية الروسية، وأفلحت نسبيا لتجر الغرب إلى الاعتراف بأنه لا غنى له عن روسيا، فثمة من يرى أن السياسة الخارجية الروسية في عهد بوتين نقلت الكرملين من حالة عنوانها "لا يوجد مسئول حقيقي في

⁴ وسيم خليل فلعجية، روسيا الأوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2016)، ص. 47-48.

⁵ حيدر زهير جاسم، "روسيا الاتحادية: مقومات القوة وتحديات المستقبل"، مجلة دراسات دولية، العدد 67 (2016)، ص. 251-291.

⁶ وولتر لاكوير، ترجمة. فواز زعرور، البوتينية روسيا ومستقبلها مع الغرب (بيروت: دار الكتاب العربي، 2016)، ص. 164.

الكرملين" إلى حالة عنوانها بوتين وحده من يقرر، ولأفكاره في الشؤون الدولية ومنزلة روسيا ودورها في العالم أهمية قصوى⁷.

وما فتئ القادة الروس يجادلون بأن حجم روسيا وموقعها الجيوسياسي ومواردها تمنحها جميعاً قطعاً مكانة القوى الكبرى، حيث صيغت الأهداف الإستراتيجية لروسيا في سياق إدارة عواقب الانحدار، وحيث أن روسيا بصيغتها الحالية لم تعد قوى عظمى استحضرت الرئيس بوتين روح دبلوماسي في القرن التاسع عشر، وهو "ألكسندر غورشاكوف Aleksander Gorchakov" لشرح أوجه التشابهات السياقية والخيارات الوجودية التي تواجهها روسيا بعد هزيمتها في حرب القرم والتحديات التي تواجهها روسيا اليوم، وكما كتب "إيغور إيفانوف Igor Ivanov" وزير الخارجية السابق: "على الرغم من كل الاختلافات بين ظروف روسيا في أواسط القرن التاسع عشر وظروفها اليوم، فإن بلادنا تواجه تحديين معقدين في مجال السياسة الخارجية كانا مألوفين لغورشاكوف: خلق أفضل الظروف الممكنة للإصلاح الداخلي، وفي الوقت نفسه - وهذا هو الوجه الأخر للعملة نفسها - عدم السماح بإضعاف مواقف البلاد على الصعيد الدولي".

هذا وتنبع أهداف موسكو الإستراتيجية الجديدة من المحاولات الروسية لصون البلاد وحمايتها من إلغاء أهم جوانب مكانة قوتها الحالية، قوتها العسكرية التي مازالت مهمة وعضويتها الدائمة في مجلس الأمن الدولي، وتحقيقاً لهذه الغاية بدلت روسيا في عهد بوتين جهود جبارة لتعزيز مبيعات الأسلحة لحلفاء الاتحاد السوفييتي التقليديين وللصين بغية توفير تدفق للإيرادات يسهم في تنشيط صناعة الدفاع الروسية والاقتصاد، وأصرت على أنه ينبغي أن تبقى الأمم المتحدة المركز الرئيسي لإدارة العلاقات الدولية في القرن الحادي والعشرين. كما ركزت روسيا على الحفاظ على نفوذها في المنطقة الأوراسية وهي إستراتيجية سماها "ديميتري تريفين Dimitri Trevin" عملية رابطة الدول المستقلة Operation CIS من خلال القضاء على النفوذ المفرط للأطراف الثلاثة الصين، الاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة الأمريكية.

ويشير الباحث "جيرونيم بيركوفيتش Jeronim Perkovic"، إلى أن السياسة الخارجية الروسية في عهد الرئيس بوتين قد تحولت بشكل ملحوظ من التركيز العسكري والسياسي إلى التركيز الجيو-اقتصادي، ويجادل بأن هذا التحول يتجاوز التكتيكات المحضة ليعيد تعريف مفهوم القوة الروسية بشكل أعمق، وينشر تلك القوة بغية

⁷ كاظم هاشم نعمة، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة: فرص وتحديات(الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص.26.

نقض ما يراها القادة الروس باعتبارها النتيجة الجيوسياسية الأهم لانهيار الاتحاد السوفيتي، ألا وهي توسع قوى خارجية أخرى في مناطق النفوذ الروسي في جنوب القوقاز وآسيا الوسطى⁸.

لقد أكد فلاديمير بوتين أن روسيا المعاصرة التي تسلمت تركة الاتحاد السوفيتي لا تقبل أن تكون فاعلا هامشيا على المسرح الدولي، ولن تسمح بأن تستفرد الولايات المتحدة بالقرار الدولي والمؤسسات الدولية وتملي أوامرها على الجميع، لذلك سعت روسيا بعد أن تعافت نسبيا من الناحية الاقتصادية إلى خلق قطب منافس للقطب الغربي الأطلسي. إذ طور بوتين ثلاثة مبادئ هي: المبدأ الأول أن النظام الأمني هو قلب الدولة، والثاني أن موسكو قلب روسيا، أما الثالث فكان أن روسيا هي قلب الاتحاد السوفيتي السابق، وتلك المبادئ لم تفرض فجأة، فقد انتقلت سلطة KGB ببطء من نظام الهيمنة غير الرسمية عن طريق الفساد الحكومي المستفحل إلى هيمنة أكثر منهجية لأجهزة الدولة بواسطة الأجهزة الأمنية، معيدا بذلك تأسيس النموذج القديم، كما تولى بوتين السيطرة على الحكومات الإقليمية المحلية عن طريق تعيين المحافظين، والسيطرة على الصناعة خارج موسكو، أما الأهم فكان استرجاع روسيا وبجذر لتكون الأولى بين المتساوين في الاتحاد السوفيتي السابق.

إن سرعة استعادة روسيا لمكانتها اقتصاديا ودوليا، ومحافظتها على ترسانتها النووية الإستراتيجية، أسهم في تعزيز دورها، وعودتها إلى الساحة العالمية من باب الدول الكبرى، والتي تمتلك موارد وقدرات وإمكانات تؤهلها لتكون لاعبا جيو-إستراتيجيا فاعلا ومؤثرا في العلاقات الدولية ضمن المنظومة العالمية الحالية، من دون الوصول إلى حد المواجهة مع الولايات المتحدة الأمريكية أو أية قوة كبرى أخرى⁹.

2 - مكانة منطقة شرق المتوسط في الفكر الإستراتيجي الروسي

1.2 - الأهمية الجيوسياسية لمنطقة شرق المتوسط

تشكل منطقة شرق المتوسط معطى تاريخي وحضاري واقتصادي في أن واحد، فهي منطقة تقاطع بين ثلاث قارات آسيا، أوروبا، وإفريقيا، وهي تضم جزء كبير من إقليم الشرق الأوسط، إذ أنها تعتبر من أكثر المناطق في العالم التي مزقتها الحروب في تاريخ البشرية، كما أن معظم الإمبراطوريات التي لعبت دورا بارزا في تاريخ العالم الغربي ولدت ونمت وازدهرت فيها¹⁰.

⁸ فيديا نادكارني، الشركات الإستراتيجية في آسيا- توازنات بلا تحالفات (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014)، ص.38-39.

⁹ وليد حسن محمد، "دور الرئيس بوتين في رسم الإستراتيجية الروسية الجديدة"، مجلة دراسات دولية، العدد.64-65 (2016)، ص.267-293.

¹⁰ Panayiotis Hadjipavhid, "the geopolitical importance of the eastern mediterranean airs pace", eastern mediterranean geopolitical review, vol.1(fall 2015), p p.44-60.

يتكون إقليم شرق المتوسط من 22 دولة بالإضافة إلى الأراضي المحتلة الفلسطينية، ويقدر عدد سكانه بأكثر من 550 مليون نسمة، إذ وعلى الرغم من التشابه الجغرافي والتوافق الثقافي والخلفية التاريخية المشتركة، إلا أن هناك تفاوت كبير في مجالات الاقتصاد والتنمية بين هذه البلدان¹¹.

نجد في كتاب "جيوپوليتيك البحر المتوسط" للمؤلف بيف لاكوست في تقسيمه لمنطقة حوض المتوسط إلى متوسط غربي وشرقي، أن منطقة شرق المتوسط تضم الدول الواقعة شمال شرق البحر الأبيض المتوسط، وهي (تركيا، البلقان، قبرص، الدول اليوغسلافية، ألبانيا، بلغاريا، اليونان)، والدول الواقعة جنوب شرق المتوسط (ليبيا، مصر).

تعتبر نظريتي قلب العالم لماكيندر Makinder والقوة البحرية لماهان من أبرز النظريات التي فسرت منطقة شرق المتوسط باعتبارها تنتمي لمنطقة البحر الأبيض المتوسط، فبالنسبة لماكيندر فقد قسم العالم جيوپوليتيكيا إلى قلب الأرض، تشمل أوروبا الشرقية وروسيا الأوروبية والآسيوية، حيث أن الجزيرة العالمية تشمل ثلاث قارات أوروبا، آسيا، إفريقيا يجمعهم البحر الأبيض المتوسط. أما الهلال الخارجي فيضم بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، جنوب أمريكا، كندا، أستراليا، وأضاف الهلال الداخلي ويضم ألمانيا، النمسا، تركيا، الهند والصين، ووفق هذا التقسيم وضع ماكيندر معادلته الشهيرة من يحكم شرق أوروبا يسيطر على قلب الأرض، ومن يحكم قلب الأرض يسيطر على الجزيرة العالمية، ومن يحكم الجزيرة العالمية يسيطر على العالم، وبناء على هذا التصور فإن موقع شرق المتوسط خصوصا وحوض المتوسط عموما جد هام، إذ يتوسط الجزيرة العالمية.

أما بالنسبة إلى ماهان فهو يؤكد على أهمية السيطرة على البحر والممرات البحرية ذات الأهمية الإستراتيجية، فالعامل البحري أهم عامل يؤثر في قوة الدولة، فليس حجم الدولة أو مساحتها التي تشغلها تؤثر في قوتها بقدر طول سواحلها، فغداة الحرب العالمية الثانية حلت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي محل القوى الاستعمارية التقليدية، وصار المتوسط يشكل الجناح الجنوبي بالنسبة لحلف شمال الأطلسي، ومنطقته الشرقية عي الطريق الوحيد لولوج المحيطات والمياه الدافئة بالنسبة للأسطول السوفيتي الراسب بالبحر الأسود، وذلك عبر

¹¹ World health organization, regional office for the eastern mediterranean, **health systems in the eastern mediterranean region**,march 2012,p.5.

مضيقي البوسفور والدردنيل من خلال مرمة، وهذا ما يدل على الأهمية الجيوسياسية لمنطقة شرق المتوسط ضمن الإستراتيجيتين الأمريكية والسوفييتية¹².

وهذا يقودنا إلى الاستنتاج أن هذه المنطقة جد حيوية لإقامة القواعد العسكرية، إذ تمكن من التحرك بسرعة ما يمنحها إمكانية السيطرة على الأوضاع في الأزمات والحروب، وذلك ما يؤكد ماكيندر في قوله: "إن مستقبل العالم يتوقف على حفظ التوازن في القوة بين الأقاليم الساحلية وبين القوى الداخلية المتوسطة، إذ أن استخدام القوى البحرية لطريق البحر الأبيض المتوسط لن يكون إلا بموافقة قوى البحر التي بإمكانها إغلاقه بالحرب الجوية من قواعدها البحرية". وهذا نفس ما ذهب إليه "ستانسفيلد تورنر Stansfield Turner بعد حرب الخليج الثانية بقوله: "إن هذه الحرب أثبتت مدى أهمية استخدام البحر الأبيض المتوسط لإيصال التعزيزات والإمدادات إلى الخليج، وبالتالي فإن كل المعطيات كانت مرهونة باستخدام الخط البحري: جبل طارق، قناة السويس، الخليج¹³.

2.2 - محركات السياسة الخارجية الروسية في منطقة شرق المتوسط

لقد كان للجغرافيا متطلبات فرضتها على روسيا فيما يتعلق بالاهتمام بمنطقة شرق المتوسط، وذلك لكون روسيا تشغل الحيز الأكبر من الكتلة الأورو-آسيوية، فكان من الطبيعي أن تضع منطقة شرق المتوسط في بؤرة سياستها الخارجية منذ زمن بعيد، حيث أن منطقة شرق المتوسط تشكل المعبر الوحيد لروسيا للوصول إلى المياه الدافئة¹⁴.

وخلصت دراسة أجرتها مؤسسة "راند Rand" للتعاون عام 2009 إلى أن السياسات الخارجية في منطقة شرق المتوسط كان يحركها طلب المكانة العالمية والتجارة والاستقرار الإقليمي، تحركها ثلاثة دوافع رئيسية، هي:

1- تنظر روسيا إلى سياساتها الخارجية تجاه منطقة شرق المتوسط على أنها علمانية، وغير إيديولوجية، إذ تعتقد روسيا أنها تستطيع مخاطبة أي طرف وجميع الأطراف في المنطقة، وأنها تخاطبهم بالفعل، وهذا ما مكن روسيا من المحافظة على علاقات حسنة التوازن نوعا ما مع عدد كبير من الجهات الفاعلة الحكومية

¹² برد رتيبة، الحوار الأورو متوسطي من برشلونة إلى منتدى 5+5، مذكرة لنيل شهادة الماجستير غير منشورة (جامعة الجزائر: كلية العلوم السياسية والإعلام، 2009)، ص ص 47-48.

¹³ قويدر شكري، التحديات المتوسطة للأمن القومي لدول المنطقة المغاربية 2001-2011، مذكرة لنيل شهادة الماجستير غير منشورة (جامعة الجزائر 3: كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2015، 2015)، ص ص 55-56.

¹⁴ باسم راشد، "المصالح المتقاربة: دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي"، مجلة اوراق، العدد 9 (201)، ص ص 1-34.

وغير الحكومية ممن كان تقع في موقع المواجهة الحادة فيما بينها أحيانا، حيث تعتقد روسيا أن هذه ميزة تتفوق فيها على الغرب الذي تشخص أنه متحيز، وبسبب ذلك هو أقل مرونة.

2- المكون الثاني في السياسات الروسية تجاه منطقة شرق المتوسط، هو دعم الهيكلية القائمة للدول والحكومات ضد كل من التدخل الخارجي والتمرد الداخلي. تحمل روسيا الغرب مسؤولية الوضع الحالي على امتداد منطقة الشرق المتوسط، وتؤكد أن التدخلات الغربية في العراق وليبيا كانت كارثية، على النقيض من ذلك تؤكد روسيا أنها تدعم مبدأ سيادة الدولة بالتوافق مع القانون الدولي، وتعارض التدخل الخارجي. تتراصف وجهة النظر هذه مع مخاوف القادة الروس من الثورات الملونة في البلدان السوفييتية السابقة والامتعض العام لدى موسكو من قبول أي تغييرات يحتمل أن لا تكون مؤاتية بالنسبة للوضع القائم¹⁵.

3- أضحت السياسة الخارجية الروسية أكثر براغماتية تحركها النفعية، فروسيا تعمل وتقيم على كل فرصة وحدث على ضوء مصالحها الخاصة، مقابل الاحتفاظ بعدد قليل من القيود السياسية التي يلتزم بها الغرب، وهذا ما يتيح لها مرونة أكبر، فقد لا تكون لروسيا خطط طويلة المدى أو غايات إقليمية في منطقة شرق المتوسط، ولكن لها بالفعل مصالح طويلة الأمد. فمنطقة شرق المتوسط تقع في نطاق حلول الوسط وليس الحلول الجذرية، نحن هما لا نتحدث عن القوقاز أو آسيا الوسطى أو الشرق الأقصى أو بحر البلطيق أو البحر الأسود حيث عظم الدب الروسي، وإنما نتحدث عن إقليم تتنازعه قوى استعمارية متعددة وتنطلق منه حركات دينية وقومية متضاربة الأهداف. ففي فلسطين هل لروسيا من منهج آخر غير حلول الوسط؟ كيف توازن روسيا بين علاقاتها مع إسرائيل ووجود نحو مليون روسي في فلسطين المحتلة؟ فحلول الوسط هي ذاتها التي تجعل موسكو لا تتخذ إجراءات حاسمة تجاه إسرائيل بعدما وجهت لها تهمة بتغذية العدوان الجورجي على أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية في حرب أوت 2008، فروسيا لا تريد أن تخسر الفلسطينيين أو الإسرائيليين أو أي طرف، ولعل ما يؤكد البراغماتية التي تطبع السلوك السياسي الروسي في المنطقة هي المبدأ الذي صاغه الرئيس بوتين القائل: "أن كي يكون لك مكان تحت الشمس فعليك أن

¹⁵ جيمس سلادن وآخرون، مؤسسة راند للتعاون، الإستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط، 2017، ص 3-4.

تحتفظ بخيوط للتواصل مع الجميع" لكن حين يتعلق الأمر بفلسطين وإسرائيل فإن هذا المبدأ في حاجة إلى مراجعة¹⁶.

3 - الملامح العامة لدور الروسي في منطقة شرق المتوسط وأهدافه

تتحدى روسيا ترتيب النظام الدولي، ويتضح ذلك في توجهاتها التعديلية تجاه منطقة المتوسط التي تشكل أهمية في الفكر الروسي، حيث عمدت هذه الأخيرة على توزيع قدراتها بما يتماشى ومصالحها من خلال عاملين رئيسيين تمثلا في كل من الطاقة والأمن.

- الطاقة وتوجهات السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة

في عام 1999 نشر بوتين مقال في مجلة المعهد عن الموارد المعدنية حاجج فيها أن موارد روسيا من النفط والغاز هي مفتاح للنهوض بالاقتصاد، وأن دخول روسيا إلى الاقتصاد العالمي هم ما سيجعل من روسيا رائدة في المجال الاقتصادي¹⁷.

روسيا هي الدولة الوحيدة بين الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن التي لا تحتاج إلى استيراد الطاقة، خاصة النفط والغاز والكهرباء، وهذا يعطيها تفوقا إستراتيجيا لا تمتلكه الدول الأخرى التي ليس لديها اكتفاء ذاتي من هذه المواد الحيوية، إذ تتزايد ثروات روسيا مع الاكتشافات الجديدة من المخزون النفطي في سيبيريا وبحر قزوين، حيث لها حصة كبيرة منها كونها إحدى الدول الخمس التي تطل على هذا البحر إضافة إلى الاتفاقات التي تربطها مع بعض دول وسط آسيا التي تشتري منها النفط والغاز بأسعار أقل بكثير من أسعار النفط.

وقد شكلت عملية نقل المواطن من أماكن إنتاجها في وسط آسيا إلى الممرات المائية أو البرية في منطقة المتوسط إلى أوروبا محطة لتنافس دولي له ارتداداته وتأثيراته المتعددة وانعكاساته على أسعار هذه المواد التي يعتمد الاقتصاد الروسي عليها كعائدات تساهم في استقراره¹⁸.

¹⁶ عاطف معتمد عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي - أزمة الفترة الانتقالية (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009)، ص. 110-112.

¹⁷ دانييل يرغين، ترجمة. هيثم نشواني، السعي بحثا عن الطاقة والأمن وإعادة تشكيل العالم الحديث (الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2015)، ص. 64.

¹⁸ ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013)، ص. 240.

ترى روسيا في حساباتها السياسية في منطقة البحر المتوسط أن منطقة شرق المتوسط ستكون منطقة نفوذ مناسبة للعمل في هذا المضمار، خصوصا مع تزايد أهميتها في السنوات الأخيرة نتيجة الاكتشافات الجديدة لكميات كبيرة من الغاز الطبيعي في المياه العميقة فيها، واحتوائها لطبقة عميقة من الغاز طبقا لتقديرات هيئة المسح الجيولوجية الأمريكية والشركات العاملة في التنقيب عن الغاز.

ويتكون حوض غاز شرق البحر الأبيض المتوسط من ثلاث مناطق فرعية:

1- حوض بحر إيجه قبالة سواحل تركيا واليونان وقبرص.

2- حوض المشرق قبالة سواحل سوريا ولبنان وفلسطين.

3- حوض الدلتا قبالة سواحل مصر.

نتيجة لذلك، عملت روسيا على تكثيف وجودها العسكري في المنطقة الساحلية السورية، وعدته بمثابة إجراء احترازي ضروري لتوفير الحماية اللازمة للاستثمارات الروسية، وتشير التقارير معظمها إلى أنها ستكون ضخمة وعملاقة في مضمار استخراج كميات من الغاز الهائلة المخترنة تحت قاع البحر المتوسط بمحاذاة الشريط الساحلية السوري، إذ تتحدث دراسات عن اكتشاف حقل "قارة" سيحقق حوالي 400 ألف متر مكعب يوميا لسورية، إضافة إلى 560 برميلا مكثفا في اليوم، فيما تبلغ مساحة التركيب الحاملة للغاز بنحو 25 كم مربع، أما الاحتياطي القابل للإنتاج في هذا التركيب يقدر بحوالي 47 مليار متر مكعب غاز، إضافة إلى 21 مليون برميل مكثفات، وهو ما يجعل سوريا في المرتبة الأولى في منطقة المتوسط، فهذه الاكتشافات جعلت سوريا محط أطماع لجهات خارجية عدة ترغب في الهيمنة على إمكانات الطاقة السورية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.

إضافة إلى ذلك، فإن الرغبة الروسية في احتكار مصادر الطاقة في سوريا سيضمن لها سيطرة فعلية على الأراضي السورية، وبالتالي ستضمن إفشال خط الغاز القطري الذي يفترض مروره في حلب للوصول إلى الأراضي التركية وضمان الاستحواذ على الغاز المستخرج من الساحل السوري وتوجيهه بعد ذلك إلى أوروبا¹⁹.

2.3 - الأمن في توجهات السياسة الخارجية اتجاه منطقة شرق المتوسط: سوريا مسرحا لتغيير موازين القوى

إن روسيا تسعى إلى تفعيل قاعدة دورها والعمل على توسيعه في منطقة البحر الأبيض المتوسط ومواجهة القوى التقليدية فيه، فروسيا ترفض الفكرة القائلة بأن الغرب المسيحي يمثل الديمقراطية وأن الشرق الإسلامي معاد

¹⁹ مركز جرمون للدراسات المعاصرة، سوريا في المعايير الجيوسياسية الروسية وموقع كرد سوريا فيها، أبريل 2017، ص ص 6-7.

لها ويجب تغييره. وروسيا هنا تقف إلى جانب الرأي المضاد للولايات المتحدة في فكرة تصديرها للديمقراطية لبلدان شرق المتوسط الشرق أوسطية.

إن تصريحات بوتين بأن روسيا أظهرت الكثير من نقاط الضعف وأن الوقت حان لإظهار نقاط القوة ما هو إلا إشارة إلى وجود إستراتيجية جديدة بشأن دورها المستقبلي، فما قيامها بعقد صفقات لبيع الأسلحة إلى سوريا وتقوية علاقاتها مع مصر لاحقاً فضلاً عن دعمها المتواصل لإيران إلا دليل على ذلك، فعلى الرغم من معارضة كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بيع أسلحة إلى سوريا نجد وجود نوع من الإصرار في روسيا على إتمام هذه الصفقة. وبالرغم من الضغوط في عدم تزويد إيران بالأسلحة ومنظومة الرادارات المتطورة من قبل الغرب وإسرائيل، وتخوف وحذر الدول الخليجية من التقارب الروسي مع مصر، إلا أنه على ما يبدو أن روسيا قد شرعت برسم خط إستراتيجي جديد وهو تحول مهم، إذ تحسنت العلاقات الروسية مع بلدان شرق المتوسط خاصة العربية منها في فترة الرئيس بوتين، كما ان المثلث الإيراني السوري اللبناني فتح مجالاً واسعاً للتحرك الروسي فيما يبدو إن كل ما يحدث بين روسيا ودول منطقة شرق المتوسط يعكس طبيعة سياسة موسكو تجاه البلدان النامية عموماً، إذ تحتل روسيا المركز الأول في نادي باريس في مجال إسقاط وإعادة جدولة ديون هذه الدول وقيام روسيا بشطب الجزء الأكبر من ديونها المستحقة على سوريا ولبنان وليبيا وحتى العراق يعد إسهاماً كبيراً في تنمية اقتصاد هذه البلدان²⁰.

لقد انصب اهتمام بوتين منذ عودته رئيساً على استعادة النفوذ السوفييتي من خلال إدخال جملة من المبادئ كما هو موضحاً أعلاه، يضاف عليها إدخاله لتعديل على العقيدة العسكرية الروسية في 2014 يتيح مواجهة بؤر التوتر في العالم، واستخدام القوة العسكرية خارج إطار مجلس الأمن، إذ لقيت هذه التوجهات ترحيباً في أوساط القوميين الروس ومن حلفاء موسكو السابقين، فبعد مغامرة لم تتبلور نتائجها بعد في أوكرانيا، ها هو يتقدم بعيداً عن حدود روسيا إلى الشرق الأوسط، وتحديد منطقة شرق البحر المتوسط الذي انسحبت منه الولايات المتحدة سياسياً وعسكرياً في فترة الرئيس باراك أوباما، ويتنامى فيه نفوذ حليفته إيران، وتبدي بعض دوله العربية رغبة في مساهمة روسيا في حلحلة بعض قضاياها العالقة، إضافة إلى وضع بشار الأسد الحرج الذي جعله قابلاً لأي نوع من التدخل وبلا قيد أو شرط²¹.

²⁰ عناد كاظم حسين الناطلي، روسيا الاتحادية ومستقبل التوازن الإستراتيجي العالمي (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2017)، ص. 243-244.

²¹ مركز الجزيرة للدراسات، التدخل العسكري الروسي في سوريا: الدواعي والتداعيات والأفاق، أكتوبر 2015، ص. 3.

لقد جاء التدخل العسكري الروسي في سوريا ليحدث ليس فقط تغييرات في الجانب العسكري الميداني على الأرض السورية، وإنما ينسحب على الواقع الجيوسياسي للصراع ليس فقط في سوريا، إنما في المنطقة والعالم، فما قبل التدخل العسكري الروسي غير ما بعده، وهذا يظهر في:

1- على المستوى السوري، لم تعد روسيا مجرد لاعبا ثانويا، إنما غدت طرفا مقررًا في الصراع الدائم اليوم وفي مستقبل سوريا غدا. فتدخلها العسكري المباشر أحدث تغييرا في ميزان القوى لصالح النظام. والسبب ليس فقط جدية القصف الروسي إنما أيضا قوة جيش النظام وحلفائه، والذي رغم تقهقره، إلا أنه لا يزال القوة العسكرية الأبرز مقارنة بالمجموعات العسكرية للمعارضة المتشردمة²². ومن ناحية أخرى، يبدو أن الأسد، والنخبة العلوية المقربة منه، إضافة إلى القطاع السني الذي لا يزال يؤيده، يخشى من الهيمنة الإيرانية المطلقة، وخاصة من سعيها الحثيث لاصطناع كيان مذهبي مرتبط بما على شاكلة حزب الله اللبناني، وتخشى عائلة الأسد من مقايضة إيرانية تطيح بها مقابل الحصول على رعاية وحماية العلويين والشيعة عبر ذلك الكيان والمليشيات التي أنشأها، وتعد المضلة العسكرية الروسية في هذه الحالة ضمانا لها من السقوط أمام الثوار من جهة، وخيارا بديلا من الوقوع الكلي تحت نفوذ طهران وسياساتها البراغماتية المذهبية من جهة أخرى، يضاف إلى ذلك ارتباط الأسد بإيران وحلفها الشيعي هو العقبة الكأداء التي تجعل من عملية اختراق سياسي للصف المعادي له عملية مستحيلة، وأن تولي أمره من طرف روسيا، بما لها من ثقل دولي ونفوذ على بعض العواصم العربية، مع تواري إيران عن المشهد قليلا، سيجعله مقبولا، وعلى الأقل سيفتح إمكانية الحوار معه عبر القناة الروسية، على أمل أن تتغير تلك القوى الراضية له بشكل مطلق بعض موافقتها منه²³.

لقد أصبح لروسيا اليوم قاعدة عسكرية على شرق البحر الأبيض المتوسط وفي منطقة الشرق الأوسط قبل ذلك كانت لقاعدة طرطوس البحرية، أهميتها من دون أدنى شك، فهي موطن قدم روسي في المياه الدافئة، أما اليوم فالقاعدة الجوية في اللاذقية تثبت الوجود العسكري الروسي في سوريا وانطلاقا منها يمكن لروسيا التدخل في أي من جغرافية بلدان المنطقة بحجة ضرب الإرهاب، ولا يمكن للدول الغربية والإقليمية منعها، فهذه الأخيرة سبقتها دول أخرى للتدخل في الصراع السوري عبر تزويد المعارضة بالسلاح والإغارة بطائراتها على المدن في سوريا

²² عايدة العلي سري الدين، البوابة السورية والعودة الروسية (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2016)، ص. 257.

²³ مركز الجزيرة للدراسات، عبد الناصر العابد، التدخل العسكري الروسي في سوريا: الدواعي والتداعيات والأفاق، أكتوبر 2015، ص. 4.

والعراق، كما سبقتها دول أخرى إلى إرسال جنود للقتال وفي مقدمتها إيران ومن هنا تشدد الدبلوماسية الروسية على ضرورة ضرب الإرهاب قبل الحل السياسي للحرب الأهلية السورية²⁴.

3- من ناحية أخرى تتداخل روسيا مع الأزمات في المنطقة للحفاظ على مينائها في طرطوس السوري ولتضمن تواجدها في المياه الدافئة في منطقة المتوسط، بشكل يسمح لها بمراقبة منطقة شرق المتوسط الواعدة باكتشافات النفط والغاز ما يمكنها من حماية مصالحها والحفاظ على مكانتها كمصدر أساسي إلى الغاز إلى أوروبا، وكذلك من أجل مواجهة الجهود التركية لتنصيب نفسها كدولة معبر رئيسية لأنابيب الغاز القادمة من إيران وبحر قزوين وشرق المتوسط إلى أوروبا، لهذا تعتمد موسكو إلى دعم قبرص في صراعها مع تركيا، خاصة فيما يتعلق بحق قبرص في تصدير غازها مستقبلاً²⁵.

4- التحدي الروسي للنظام الدولي الحالي الأحادي القطبية عبر خلق مواقع حيوية في مناطق جغرافية مختلفة موازنة للضغوط الأمريكية على روسيا الاتحادية في جوارها الجغرافي المباشر وإلى إيجاد موطئ قدم لها في الصراعات الدائرة بالمناطق الجغرافية المحيطة بها، خصوصاً التي تشكل أولوية لأمنها القومي. وقد حدث ذلك حينما تدخل الجيش الروسي في جورجيا أولاً وأوكرانيا ثانياً والآن جاء دور سوريا ثالثاً.

5- إنهاء حرب الآخريين على الأرض السورية، وتصفية الحسابات السياسية مع الولايات المتحدة الأمريكية بقصف جبهة النصرة وتنظيم داعش والتنظيمات الإرهابية الأخرى تحت ستار الحرب على الإرهاب في مجال نفوذها الوحيد في الشرق الأوسط.

6- الإقرار بالفشل الإيراني وعجز كل من طهران ودمشق أولاً عن حسم الصراع عسكرياً وثانياً عن استدرج مساهمة دولية وتسريبها للحصول على صفقة مبكرة لها لاستمرار نظام بشار الأسد في سوريا، والذي لا يزال هدفهما النهائي.

7- إغلاق الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية وتركيا والمملكة العربية السعودية، أفق الحل السياسي المفضل روسيا عبر تأسيس حكومة انتقالية في سوريا يؤدي فيها الرئيس بشار الأسد دوراً مهماً، حيث طالب الجميع برحيل الأسد باستبعاده من أي تسوية سياسية، فمن البديهي أن الروس وجدوا أن تفاهمهم مع الأمريكيين على الخطوط العريضة للحل السياسي وعلى قيادتهم الخطوات الأولى لهذا الحل لا قيمة له إذا لم يكن لهم وجود

²⁴ سري الدين، مرجع سبق ذكره، ص. 258.

²⁵ محمد سليمان الزاوي، بحر الفأر - تصاعد مخفضات الصراع شرق المتوسط (الرياض: مركز البيان، 2015)، ص ص. 96-97.

عسكري وازن على الأرض لحماية أوراقتهم واستخدامها في الوقت المناسب، وهو ما يفسر لاحقا تراجع بعض هذه الدول على رحيل الأسد نهائيا من السلطة²⁶.

8- تصفية الجهاديين المنحدرين من الشيشان وداغستان ومنطقة القوقاز عموما، حيث يقا تل كثيرا منهم في سوريا إلى جانب تنظيم داعش وباقي التنظيمات الإرهابية الأخرى، والذين يزيد عددهم عن 5 آلاف رجل، ومن ثم ترى روسيا أن تصفيتهم على أرض غير روسية وتحت جناحة الإرهاب سيكون أفضل كثيرا من تصفيتهم وهم في الداخل الروسي، وثمة تخوف روسي من المخاطر التي تنطوي عليها عودة أولئك العناصر بعد اكتسابهم خبرة قتالية في مناطق النزاع في سوريا، فقد صرح الرئيس الروسي بوتين بأن: "المرء ليس بحاجة لأن يكون خبيرا في الشؤون الأمنية ليعلم أنه إذا انتصر هؤلاء في سوريا، فسيعودون إلى بلادهم، ويعودون إلى روسيا أيضا²⁷، خاصة وأن نسبة المسلمين في روسيا تصل إلى 20% من سكان روسيا البالغ 140 مليوناً، ثم أن عدد المساجد في روسيا وحدها ازداد عشرة أضعاف من 500 في ثمانينات القرن العشرين إلى ستة آلاف عام 2015، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن روسيا لا تفرق بين الجهاديين والإرهابيين، ولا بين المسلحين والمدنيين، فالضربات الجوية التي تنفذها الطائرات الروسية، مند تدخلها في سوريا وحتى الآن، لم تفرق بينهم، وما حدث في مدينة حلب وريفها أكبر دليل على ذلك، من حيث عدد الضحايا المدنيين، وحجم الدمار الهائل للمباني والمستشفيات²⁸.

وهذا ما جعل من التدخل العسكري في سوريا يحتل مكانة إستراتيجية بالنسبة لروسيا، ليس من الجانب العسكري فقط، بل الأهم من ذلك الجانب الاقتصادي الذي يمثل نقطة تفاهم بين روسيا وسوريا يعود تاريخها إلى الحرب الباردة، فقد كانت الحرب الأهلية السورية فرصة لا تعوض بالنسبة لروسيا للتخلص من جزء من ذخيرتها العسكرية التي تعود لمرحلة الحرب الباردة وبالتالي تحرير الأموال المحتجزة في مخازن السلاح لدعم القطاعات الأخرى للاقتصاد الوطني الروسي، وذلك من خلال سياسة الحرب مقابل المال التي تعتمدها الولايات المتحدة الأمريكية مند حرب الخليج الأولى، وقد استفادت الصناعة الحربية الروسية من الحرب في سوريا من خلال تزويد القوات النظامية بمختلف قطع غيار العتاد العسكري، من الأسلحة البسيطة إلى الطائرات الحربية حتى أن الجسر الجوي

²⁶ وسيم خليل قلعجية، روسيا الاوراسيا زمن الرئيس فلاديمير بوتين (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2016)، ص ص. 333-334.

²⁷ مركز جرمون للدراسات المعاصرة، جوان حمو، سوريا في المعايير الجيوسياسية الروسية وموقع كرد سوريا فيها، افريل 2017، ص ص. 5-6.

²⁸ المرجع نفسه، ص 10.

بين البلدين لم ينقطع منذ ست سنوات وهو ما يمثل حركية اقتصادية كبيرة للشركات الروسية في مجال الصناعة الحربية، والتي انتقلت إلى مستوى جديد في تجارة السلاح وقطع الغيار المرتبط به²⁹.

الخاتمة

شهدت روسيا الاتحادية نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين متغيرات أثرت على كيانها إلى درجة شكلت معها مخاطر على مستقبل وحدة البلاد بعد تفكك الاتحاد السوفيتي السابق، فالنظام الذي شهد انهيار سياسي مطلع التسعينات من القرن العشرين تبعه انهيار اقتصادي واسع لم يكن بالإمكان احتواء تداعياته التي انعكست على النظام والمجتمع الروسي.

فمنذ مجيء الرئيس بوتين حصل تبدل في مبادئ السياسة الخارجية الروسية، فقد كان لشخصية بوتين دورا بارزا في توجيه السلوك العام الخارجي، فقد أوضحت الأهداف السياسية والعسكرية ترسم وفقا للظروف الموضوعية الداخلية والخارجية التي مرت بها روسيا منذ انتهاء الحرب الباردة، وطبيعة التهديدات التي يتعرض لها الأمن القومي الروسي والحروب المحتملة التي يمكن أن تدخلها روسيا بعد أن كانت هذه الأحكام تصاغ وفقا لتعاليم الماركسية اللينينية في الحقبة السوفيتية. إذ أعطت المبادئ الجديدة التي تبناها بوتين في السياسة الخارجية الروسية تحركا واسعا لبلاده على مستوى السياسة الدولية في ظل الأزمات التي يعاني منها العالم، لاسيما في ظل سعي إدارة بوتين لإقامة تحالفات إقليمية ودولية عن طريق محاولة إقناعها للآخرين بضرورة تبني النهج الروسي، لاسيما فيما يتعلق بضرورة رفض الهيمنة الأمريكية وضرورة تحقيق التوازن الدولي.

إن العامل الجيوبوليتيكي هو الأساس في التوجه الروسي نحو منطقة شرق المتوسط، ذلك أن سوريا تعتبر آخر موطئ قدم لها في المنطقة، وبها قاعدتها البحرية الوحيدة في المياه الدافئة التي تؤمن لها وجودا عسكريا له أهمية كبرى في لعبة التوازنات بمنطقة البحر الأبيض المتوسط مع القوى التقليدية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية وشركائها الأوروبيون، وقد ازدادت أهمية منطقة شرق المتوسط بالنسبة لروسيا بعد تدخلها العسكري في سوريا، حيث أبانت موسكو على أنها لاعب مؤثرا في أي توازنات مستقبلية تخص منطقة شرق المتوسط؛ خاصة في مسائل مكافحة الإرهاب (داعش)، أو تلك المتعلقة بالطاقة خاصة الاستثمارات الروسية الضخمة في قبالة السواحل السورية المتعلقة أساسا باستخراج الغاز، أو تلك المتعلقة بإفشال خطط مشاريع أنابيب وخطوط نقل

²⁹ ليلي سيدهم، "اقتصاد الحرب كمحرك للسياسة الخارجية الروسية بعد 2015"، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، العدد. 13 (جويلية 2018)، ص ص.

الغاز القطري إلى تركيا وبقية أوروبا المنافسة للغاز الروسي، والتي تعد الأراضي السورية طرفاً مهماً في وصوله إلى تركيا.

قائمة المراجع:

أولاً/باللغة العربية

الكتب

1. الزاوي، محمد سليمان. بحر الثأر- تصاعد مخفضات الصراع شرق المتوسط . الرياض: مركز البيان، 2015.
2. زيدان، ناصر. دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013.
3. السامرائي، محمود سالم. إستراتيجية روسيا الاتحادية الصاعدة- نهاية القطبية الأحادية . عمان: الأكاديميون العرب للنشر والتوزيع، 2018.
4. العلي سري الدين، عائدة. البوابة السورية والعودة الروسية . بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2016.
5. العوضي، حسني عماد حسني. السياسة الخارجية الروسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين. برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 2017.
6. قلحجية، وسيم خليل. روسيا الأوراسيا زمن الرئيس فلاديمير بوتين . بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2016.
7. لأكوير، وولتر. ترجمة. فواز زعرور. البوتينية روسيا ومستقبلها مع الغرب. بيروت: دار الكتاب العربي، 2016.
8. معتمد عبد الحميد، عاطف. استعادة روسيا مكانة القطب الدولي- أزمة الفترة الانتقالية. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009.
9. نادكارني، فيديا. الشركات الإستراتيجية في آسيا- توازنات بلا تحالفات. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014.
10. النائلي، عناد كاظم حسين. روسيا الاتحادية ومستقبل التوازن الإستراتيجي العالمي. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2017.
11. نعمة، كاظم هاشم. روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة: فرص وتحديات. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.
12. يرغين، دانييل، ترجمة. هيثم، نشواقي. السعي بحثاً عن الطاقة والأمن وإعادة تشكيل العالم الحديث. الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2015.

المقالات

1. حسن محمد، وليد. "دور الرئيس بوتين في رسم الإستراتيجية الروسية الجديدة"، مجلة دراسات دولية، العدد 64-65 (2016)، صص 267-293.

2. راشد، باسم. "المصالح المتقاربة: دور علمي جديد لوسيا في الربيع العربي"، مجلة اوراق، العدد.9(201)، ص ص.1-34.
3. زهير جاسم، حيدر. "روسيا الاتحادية : مقومات القوة وتحديات المستقبل"،مجلة دراسات دولية،العدد.67(2016)،ص ص.251-291.
4. السعدون، حميد حمد. "الدور الدولي الجديد لروسيا"، مجلة دراسات دولية، العدد.42(2009)، ص ص.1-12.
5. سيدهم، ليلي. "اقتصاد الحرب كمحرك للسياسة الخارجية الروسية بعد 2015"،المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، العدد.13 (جويلية 2018)، ص ص. 135-145.
6. محمود أحمد، وليد. "توجهات السياسة الخارجية الروسية بعد الحرب الباردة"، مجلة دراسات إقليمية،العدد.33(2014)، ص ص.285-309.

التقارير

1. مركز الجزيرة للدراسات. التدخل العسكري الروسي في سوريا: الدواعي والتداعيات والأفاق، أكتوبر 2015.
2. مركز الجزيرة للدراسات، عبد الناصر العابد. التدخل العسكري الروسي في سوريا: الدواعي والتداعيات والأفاق، أكتوبر 2015.
3. مركز جرمون للدراسات المعاصرة. سوريا في المعايير الجيوسياسية الروسية وموقع كرد سوريا فيها، أبريل 2017.
4. مركز جرمون للدراسات المعاصرة، جوان حمو. سوريا في المعايير الجيوسياسية الروسية وموقع كرد سوريا فيها، افريل 2017.
5. مؤسسة راند للتعاون، جيمس سلاذن وآخرون. الإستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط، 2017.

الرسائل العلمية

1. برد، رتيبة. الحوار الأورو متوسطي من برشلونة إلى منتدى 5+5، مذكرة لنيل شهادة الماجستير غير منشورة. جامعة الجزائر: كلية العلوم السياسية والإعلام، 2009.
2. شاكري، قويدر. التحديات المتوسطة للأمن القومي لدول المنطقة المغربية 2001-2011، مذكرة لنيل شهادة الماجستير غير منشورة. جامعة الجزائر3: كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2015.

ثانيا/ اللغة الانجليزية

1. Hadjipavhid ,Panayiotis. "the geopolitical importance of the eastern mediterranean airs pace",eastern mediterranean geopolitical review , vol.1(fall 2015), p p.44-60.
2. World health organization, regional office for the eastern mediterranean, **health systems in the eastern mediterranean region**,march 2012.